IUGJHR
Vol 27, No 02, 2019, pp 406-433

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الانسانية

تاريخ الإرسال (2018-03-07)، تاريخ قبول النشر (2018-04-11)

صورة المرأة في المقامة المشرقية من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجريين

أ. رائد محمد مفلح أبو زيد [1,*]
أ.د. صلاح جرار [1]

[1] قسم اللغة العربية - الجامعة الأردنية- الأردن

[*] البريد الالكتروني للباحث المرسل:
E-mail address: readabuzaid1970@gmail.com

الملخص:

لعبت المرأة دوراً كبيراً في المقامات الأدبية، فظهرت أمّاً وزوجة وبنتاً وجارية وخاطبة ونادبة، وغيرها من الصور المختلفة. وقد تناول هذا البحث صورة المرأة التي لها علاقة صلة رحم ببطل المقامات المشرقية بدءاً من مقامات بديع الزمان الهمذاني مرورا بمقامات الحريري، وابن الجوزي، وابن الصيقل الجزري، إذ يتناول صورة الزوجة، والأم، والبنت.

وقد اختار الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي في دراسة النصوص، وذلك باستقراء نماذج مقاميّة تجلت فيها المرأة بصورها المختلفة.

كلمات مفتاحية: مقامات، صورة المرأة، بطل المقامات

woman's image in the Oriental Maqamat from the 4th until the 7th hijiri centuries.

Abstract

Women played a large role in the literary centers, appeared mother , wife , daughter , Slaves , addressed and Nadaba, and other images. This research tackles the representation of women related to protagonists of the oriental Maqamat, starting with the Maqamat of Bade' Al-Zaman Al-Hamathani , Al-Maqamat Al-Hariri , Ibn Al-Jawzi and Ibn Al-Seqal Al-Jazi.

The research focuses on the image of wife, mother and daughter. The research adopts a descriptive pedagogical approach while analyzing models from al Maqamat that portray women in their variety.

Keywords: Maqamat - woman's image

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

مقدّمة:

تكاد تجمع كافة الدراسات الأدبية أن القرن الرابع الهجري هو القرن الذي ظهر فيه فن المقامات، وإن اختلف بعضها حول مبتدع هذا الفن، والأصول التي اتكأ عليها في فنه هذا، وقد لعبت الأحوال السياسية على هذا القرن، الدور الأبرز في ظهور فن المقامات. ومما لا شك فيه أن أحوال العالم الإسلامي قد تبدلت مع بدايات القرن الرابع الهجري، إذ انقسمت دولة الخلافة إلى دويلات صغيرة ومتنازعة في كثير من الأحيان فيما بينها، ولم يعد الخليفة العباسي رمزا للوحدة والسلطة كما كان عليه الوضع قبل القرن الرابع الهجري.

جاء التشريع الإسلامي مساوياً بين الرجل والمرأة، وحث على المشاركة فيما بينهما في كافة المجالات، والدارس لتاريخ هذه الأمة يلاحظ أنه لم يمر عصر من العصور إلاّ وللمرأة فيه مشاركة فاعلة، وجهود كبيرة في خدمة هذا الدين، وتاريخ هذه الأمة. وقد كان المؤرخون أو أصحاب التراجم يفردون فصلاً خاصاً للحديث عن المرأة، فقد ساهمت المرأة المسلمة مساهمة فاعلة في تطور المجتمع منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا وظهر مجموعة من النساء اللواتي تركن أثراً كبيراً على الحياة العامة. فبرزت نساء عالمات، ومحدثات، وفقيهات، وشاعرات، وأديبات، ومنهن من أبدعت في المجالات العلمية من طب وصيدلية، ولم يتخلفن عن ركب الوقف وتخصيص الأموال الطائلة في خدمة الدين والأمة.

يبدأ بناء المجتمع بالعلاقة الشرعيّة بين الرجل والمرأة، وقد بدأ هذا النسج من نفس واحدة، إذ يقول سبحانه وتعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"[الروم:21]. وهذا دليل واضح على وحدة هذا النسج وترابط أواصره.

وقد كانت المرأة على مرّ العصور التاريخية ذات فضل على الأدب ويكفي هنا أن نذكر قول ابن قتيبة عند حديثه عن سبب الوقوف على الأطلال ذكر أهلها الظاعنين، وانتقالهم من مكان إلى آخر، ثم وصل ذلك بالنسيب " لأنّ التشبيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبّة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلّقا منه بسبب، وضاربا فيه بسهم، حلال أو حرام، فإذا علم

أنّه قد استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له، عقّب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النّصب والسّهر، وسرى الليل وحرّ الهجير ".[1]

ومنذ أن بزغ فجر الإسلام تمتعت المرأة بحقوقها، ونالت المرأة فيه منزلة عظيمة. وفي العصر العباسي الذي ظهر فيه فن المقامات يمكن تصنيف النساء فيه إلى: حرائر شريفات، حرائر العوام، والجواري اللواتي امتلأت بهن القصور وانتشرت أخبارهن، إذ كن مختلفات الأنواع: هندّيات ومدنيات، وسودانيات، وحبشيّات، وروميات، وأرمنيّات، وهذا ما جعل قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء، مأوى لهن. وكان لاختلاف أنواعهن واختلاف أطباعهن دور في تفضيل الرجال لهنّ في كثير من الأحيان على الحرائر. [2]

ساهمت المرأة في تطور الحياة في مختلف جوانبها في العصر العباسي وشاركت الرجل في بناء جوانب الحياة المختلفة. ومن هنا جاء البحث عن صورة المرأة في جزء من الأدب العباسي وهو المقامات؛ لتلمس هذا الدور الذي لعبته في حياة الرجل والأسرة بشكل خاص، والمجتمع بشكل عام. وهل جاءت صورة المرأة في المقامات متطابقة أو قريبة من صورتها التي يمكن التنبُّؤ بها أو بملامحها في شعر ذلك العصر أو نثره.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث، وجد الباحث أن موضوع " صورة المرأة في المقامات " لم يدرس دراسة خاصة مستقلة مستوفية لمفردات العنوان، إلاّ أنّ الباحث وجد بعض الدراسات التي لها ارتباط جزئي بسيط في موضوع البحث ومن هذه الدراسات:

1.ملامح صورة المرأة في المقامات – الهمذاني والحريري نموذجين. الدكتورة أفنان النجار وآخرون، بحث نشر في مجلة تكريت للعلوم الإنسانية، تكريت، العراق، العدد (7) سنة 2013م.

وفي هذه الدراسة ركز الباحثون على مفهوم ونشأة المقامة أولا ، ثم بيان الصورة التي كانت عليها المرأة في العصر العباسي ، لتنتقل بعد ذلك إلى بيان الصورة التي ظهرت عليها المرأة عند بديع الزمان الهمذاني والحريري، ويلاحظ هنا اختصار القول على بعض النماذج من المقامات التي ظهرت فيها صورة المرأة .وهذا التناول جاء مختصراً وسريعاً، وهو خلاف ما يرجو البحث من الوصول إليه من خلال رسم صورة شاملة لجميع الأدوار التي ظهرت للمرأة عند بديع الزمان والحريري وغيرهما من كتّاب المقامات ما بين القرنين الرابع والسابع الهجريين.

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء (ج76/1)
[2] خفاجي ، الحياة الأدبية في العصور العباسية (ص17).

2.المرأة في الأدب النثري في العراق، في العصر العباسي الأول. رسالة ماجستير، الطالبة سائدة أحمد سلام، إشراف الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم، الجامعة الأردنية، 1988م.

3.صورة المجتمع العباسي من خلال مقامات الحريري. رسالة ماجستير، الطالب خليفة بن حارث اليعقوبي، إشراف الأستاذ الدكتور سمير الدروبي، جامعة مؤتة، 2008م.

4. صورة المرأة في السرد العربي القديم: دراسة في كتب الجاحظ والأغاني والسير الشعبية العربية. رسالة ماجستير، الطالب ضياء عبد الله خميس الكعبي، إشراف الأستاذ إبراهيم السعافين، الجامعة الأردنية ،1999م.

أولاً: مفهوم المقامة:

1. المقامة لغة:

يقول ابن منظور؛ صاحب اللسان: "المُقام والمُقامة: الموضع الذي نقيم فيه، والمُقامة بالضم؛ الإقامة. والمَقامة بالفتح: المجلس والجماعة من الناس. وقال: وأمّا المَقام والمُقام فقد يكون كلٌّ واحدٍ منها بمعنى الإقامة، وقد يكن بمعنى موضع القيام، وقوله تعالى: "لَا مَقَامَ لَكُمْ " أي لا موضع لكم، وقرئ لا مُقام لكم بالضم، أي لا إقامة لكم"[3].

وبناءً على هذا المعنى حدد الأدباء فيما بعد معنى المقامة لغوياً بمعنى المجلس، أو الجماعة فيه، واستشهد بما يُدلّلُ على هذا الرأي بقول زهير بن أبي سُلمى:

وفيهم مقاماتٌ حسـانٌ وجوهُهـا وأنديـةٌ ينتـابهُا القـولُ والفعلُ[4]

فالمَقامة هنا جاءت بمعنى: مجلس القبيلة وناديها. أمّا في قول لبيد:

ومقـامةٌ غُلْبُ الرّقـاب كأنّهم جنٌ لدى بـابِ الحصيرةِ قِيـامُ[5]

[3] ابن منظور، لسان العرب (ج355/11)
[4] المرجع السابق، (ج355/11)
[5] ابن منظور، لسان العرب (11/ 355)

فقد جاءت بمعنى الجماعة التي يضمها المجلس أو النادي، والحصيرة هنا بمعنى الملك، وقد ذهب الدكتور شوقي ضيف إلى هذا الرأي.[6]

أجمع كلُّ مَنْ كتبَ عن المقامات بأن هذا المعنى كان يطلق على المقامة في العصر الجاهلي، فما خرج المعنى عن المجلس، أو مَن يجتمعون فيه، وأن هذا المعنى لحقه التطور على مر العصور[7].

2. المقامة اصطلاحاً:

المقامة فن كتابي سرد، عبارة عن أحاديث خيالية أدبية بليغة، تلقى في جماعة من الناس، بطلها نموذج إنساني مكدٍ متسول، لها راوٍ وبطل، وتقوم على حدث ظريف مغزاه مفارقة أدبية أو مغامرة مضحكة تحمل في داخلها لوناً من أوان النقد أو الثورة أو السخرية، وضعت في إطار من الصنعة اللفظية والبلاغية، فهدفها الأساسي تعليم الناشئة اللغة وأساليبها.[8]ولهذا فإن صورة الإبداع الفني للمقامة سواء من حيث الشكل أو المضمون المرتبط معه تأكدت صورتها على يد هذا المبدع، الذي ارتبط اسمه بما أبداعه "فبديع الزمان هو أول من أعطى المقامة معناها الاصطلاحي بين الأدباء، إذ عبّر بها عن مقاماته المعروفة، وهي جميعها تصور أحاديث تُلقى في جماعات، فكلمة مقامة عنده قريبة المعنى من كلمة حديث ".[9]

وهناك طائفة من الباحثين ذهبوا إلى أن بديع الزمان الهمذاني ليس مبتكر فن المقامات، وكان أول هؤلاء الحصري، حيث ذكر في كتابه زهر الآداب وثمر الألباب قوله:" ولما رأى – الهمذاني – أبا بكر محمد بن حسين بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثاً... عارضها بأربعمائة مقامة في الكدية تذوب ظرفاً، وتقطر حسناً، لا مناسبة بين المقامتين لفظاً ولا معنى، وعطف مساجلتها ووقف مناقلتها بين رجلين سمَّى أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح الإسكندري، وجعلهما يتهاديان الدّر، ويتنافثان السّحر، في معان تضحك

[6] شوقي، المقامة (ص 7)
[7] انظر: حمودة، المقامات من ابن فارس إلى بديع الزمان (ص 20)، وياغي، رأي في المقامات (ص17).
[8] القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (ج124/14) ، وشوقي، المقامة (ص8)
[9] شوقي ، المقامة (ص8).

الحزين، وتحرك الرصين، يتطلع فيها كل طريفة، ويوقف منها كلٌ لطيفة، وربما أفرد أحدهما بالحكاية، وخصَّ أحدهما بالروية"[10].

هذا الرأي الذي ذهب إليه الحصري القيرواني، جعل البعض يأخذ به ويؤمن به، ومن هؤلاء زكي مبارك الذي يقول:" والحقيقة أن مبتكر هذا الفن ابن دريد المتوفى سنة (321هـ) ثم ورد ما قاله الحصري، ومن ثم يقول:" ولم أجد من أفراد هذه الفكرة بجهد خاص، وإن كنت رأيت ياقوت الحموي نقل ما كتبه صاحب زهر الآداب من غير تعقيب"[11].

ثانياً: أشهر كتاب المقامات المشرقية بين القرنين الرابع والسابع الهجريين:

1. بديع الزمان الهمذاني:

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني ، ولد قبيل سنة (358هـ) ،وهو المشهور ببديع الزمان ، ولعل أول من اطلق عليه هذا اللقب هو الأمام أبو منصور الثعالبي.[12]

ينتمي بديع الزمان الهمذاني إلى أسرة عربية استوطنت همذان، وقد فخر الهمذاني بذلك في أكثر من موقع، في رسائله، وأشعاره، ومقاماته، حيث جاء في احدى رسائله:" إني عبد الشيخ، واسمي أحمد، وهمذان المولد، وتغلب المورد، ومضر المحتد ".[13] وهذا التصريح بالاسم والمولد جعل معظم الباحثين يتفقون على اسمه كما أورده هو.

تنقل بديع الزمان الهمذاني بين المدن والأمصار؛ فتنقل بين همذان، والريّ، ونيسابور، التي ناظر فيها أبا بكر الخوارزمي ،وفيها لمع نجمه وارتفعت مكانته عند الملوك والأمراء، وفيها أملى مقاماته.[14]

تذكر المصادر أن وفاته كانت في هراة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة.[15]

2. أبو القاسم الحريري:

[10] الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب (ص 273).
[11] مبارك، النثر الفني في القرن الرابع (ج1/199).
[12] الثعالبي ،يتيمة الدهر (ج4/ ص 239) ،وللاستزادة انظر: الحموي، معجم الأدباء (ص: 370-406)، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء هذا الزمان (ج1، ص: 127-129).
[13] الطرابلسي، كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان (ص 9).
[14] الثعالبي، يتيمة الدهر(ج4/ ص494).
[15] ابن خلكان، وفيات الأعيان(ج1/ص129).

هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري الحَرامي، سمي بالحريري نسبة إلى صناعة الحرير أو بيعه، والحَرامي نسبة إلى قبيلة بني حرام، ولد سنة 446 هـ بالمشان، وهي قرية قريبة من البصرة، كثيرة النخل موصوفة بشدة الوخم، ويقال إنه كان للحريري بها ثمانية عشر ألف نخلة، وإنه كان من ذوي اليسار.[16]

رحل الحريري إلى البصرة وسكن في محلة بني حرام، وتأدب بها، وقرأ العربية على أبي الحسن بن فضال المجاشعي شيخ إمام الحرمين، والفقه على يد أبي إسحاق الشيرازي، وعيّن صاحب الخبر بالبصرة، وظل بهذا المنصب حتى وفاته سنة 515هـ.[17]

3. ابن الجوزي:

ولد ابن الجوزي بدرب حبيب في بغداد سنة (511 هـ)، واختلف في تاريخ مولده، فقيل: أنه ولد سنة(510هـ) وقيل: سنة (509هـ). ذكر ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد: كان أبو الفرج ابن الجوزي يقول: "لا أحقق مولدي، غير أنه مات والدي في سنة (514هـ)، وقالت الوالدة: كان لك من العمر ثلاث سنين "[18]، وعلى ذلك يكون مولده سنة (511هـ).

نشأ ابن الجوزي في ظل أسرة غنية، كانت تعمل في تجارة النحاس ، و كان ابن الجوزي يكتب اسمه أحياناً ابن جوزي الصفار[19]

توفي والده وهو ابن ثلاث سنوات، كفلته أمه وعمته، وكانت بداية دراسته الحديث على يد الشيخ ابن ناصر الحافظ الذي ترك أثراً كبيراً في حياته، وكان للغنى والثراء الذي خلفه والده الأثر الكبير في تفرغ ابن الجوزي لطلب العلم منذ الصغر، وقد كان يقول عن نفسه:" إنني رجل حبب إلي العلم من زمن الطفولة، فتشاغلت به، ثم لم يحبب إلي فن واحد منه، بل فنونه كلها"[20]. وكان من أشهر ما قام به ابن الجوزي الخطابة والوعظ والتدريس والتأليف.

16() المرجع السابق، (ج4/ص63)، وانظر: الشريشي، شرح مقامات الحريري (ج1، ص6).
17() الحموي، معجم الأدباء(ج5/ ص220).
18() ابن خلكان، وفيات الأعيان(ج3/ ص142).
19() ابن رجب الحنبلي، ذيل طبقات الحنابلة(ج2 /ص463).
20() ابن الجوزي، صيد الخاطر(ج1/ص51).

لم تطل حياة ابن الجوزي فبعد خروجه من سجنه بواسط، توفي في الثاني عشر من رمضان سنة (597 هـ)، وله من العمر ستة و ثمانون عاماً، و دفن في مقبرة باب حرب في بغداد، قرب قبر الإمام أحمد[21] .

4.ابن الصيقل الجزري:

هو معدّ بن نصر الله بن رجب بن أبي الفتح بن حسين بن إسماعيل، الملقب بشمس الدين والمكنى بأبي الندى، والمعروف بابن الصيقل الجزري. لم تذكر المصادر شيئاً عن مولده، و ذكر فقد أنه من أدباء القرن السابع الهجري، و يرجح مولده في موطن أسرته، ومما ورد عنه أنه: أديب بارع، نحوي، لغوي ، فقيه ، مفتٍ ، صنف المقامات الزينية [22].

عاش ابن الصيقل الجزري في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، إذ ذكر أنه انتهى من مقاماته سنة 672 هـ، وفي هذا السنة كان شيخاً للأدب العربي في المدرسة المستنصرية، وفيها سمع المقامات منه مئة وستون عالماً وأديباً وكان ذلك سنة 676 هـ[23].

تذكر المصادر التاريخية أن وفاة ابن الصيقل الجزري كانت في سنة 677هـ [24].

ثالثاً: صورة المرأة في المقامات:

1. صورة الزوجة في المقامات:

حث الشرع الحنيف على الزواج حفظاً للنوع البشري، وسن الأحكام التي تنظم العلاقة بين الذكر والأنثى، والزواج سنة من سنن المرسلين، يقول سبحانه وتعالى:" **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ**" **[الرعد:38]** . وعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة، وينهى عن التبتل نهياً شديداً، ويقول: " تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر الأنبياء يوم

[21] الصفدي، الوافي بالوفيات(ج18/ ص113).
[22] الفيروز آبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة(ص 294). وانظر: السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (ج2/ ص294). وكحالة: معجم المؤلفين(ص 897). ومعروف: تاريخ علماء المستنصرية (ص253).
[23] معروف، تاريخ علماء المستنصرية(ص 253).
[24] المرجع السابق، (ص 254).

القيامة "[25] . وانسجاماً مع هذا التوجه نجد ابن الجوزي يحث في إحدى مقاماته على الزواج فيقول: " ثم اعلم أن ترك النكاح رهبانية، والمتزوجون في العلو بإبانيّة، فينبغي أن تحقق القصد ولا تأبى نيّة، وأن التسبب في الأولاد أقوى عبادة، فإذا أتيت بولد كثرت لله عباده. وإذا لاحظت الأهل من خير الصلات، كان خيراً من الصوم والصلاة. أمّا مذهب أحمدَ أحمدُ مَذهب. وهو إلى تفضيل النكاح على التبتل يذهب. أما هذا شأن النبي وأصحابه "[26].

ولعل من أشهر المقامات التي تناولت صورة الزوجة المقامة المضيرية لبديع الزمان الهمذاني. إذ أبدع بطله أبو الفتح الإسكندري في نقل صورة واضحة للمواصفات التي يطلبها الزوج في زوجته عند نقله حديث أحد تجار بغداد عن زوجته عندما دعاه إلى تناول مضيرة فيقول: " فجعل طول الطريق يثني على زوجته، ويفدّيها بمهجته، ويصف حذقها في صنعتها، وتأنقها في طبخها، ويقول: يا مولاي لو رأيتها والخرقة في وسطها. وهي تدور في الدور، من التنور إلى القدور، ومن القدور إلى التنور، تنفث بفيها النار، وتدق بيدها الأبزار. ولو رأيت الدُّخان وقد غبر في ذلك الوجه الجميل، وأثر في ذلك الخدّ الصقيل، لرأيت منظراً تحار فيه العيون".[27]

فهذا الوصف والتغزل بالزوجة بدأ واضحاً في كلام التاجر عن زوجته وفيه يعرض بديع الزمان الهمذاني وجهة نظره فيما يطمح إليه الرجل من امرأته، ويسجل الباحث استغرابه من اتفاق وصف الزوجة مع وصف الجارية، فمثل هذه الأعمال هي من صميم عمل الجارية، ولا سيما إذا علمنا أن مَنْ قام بالوصف هو من أغنياء بغداد، وقصره يمتلئ بالخدم والجواري. ولعلها متطلبات بعض الرجال في بعض البيئات من زوجته شبيهة بما يطلبه من خدمه وجواريه.

ومن اللافت للنظر انتشار ظاهرة الزواج من ابنة العم، إذ وردت في مقامتين الأولى المضيرية إذ يقول: " ومن سعادة المرء أن يرزق المساعدة من حليلته، وأن يسعد بظعينَته، ولا سيّما إذا كانت من طينته. وهي ابنة عمي لحّا، طينتها طينتي، ومدينتها مدينتي. وعمومتها عمومتي، وأرومتها أرومتي "[28].

والمقامة الثانية هي المقامة البشرية، والتي حرص فيها بشر بن عوانة العبدي على خطبة ابنة عمة فاطمة بعد أن سمع بجمالها من زوجته إذ قالت:

[25] ابن حبان صحيح ابن حبان(ج9/ ص338).
[26] ابن الجوزي، مقامات ابن الجوزي(ص 163).
[27] عبده، مقامات الهمذاني (ص 124).
[28] عبده، مقامات الهمذاني(ص 125).

" كم خـــاطبٍ من أمرهـــا أَلَحَّا وهي إليـــك ابنةُ عمّ لَحَّـــا "[29]

إذ تقدم لخطبتها وجرى قصة طويلة بينه وبين عمه.

ومن الصور الواردة في أكثر من مقامة حرص الزوج على كرامة زوجته وعدم إهانتها بخروجها للتسول والبحث عمّا تسّد به جوعها وجوع أطفالها. فقد وردَّ على لسان بطل الهمذاني في المقامة القريضية:

" أمـــا تروني أتغشّى طمرا ممتطيـــاً في الضّرّ أمراً مُرّاً

لولا عجوزٌ لـي بسُـرَّ من رَا وأفرخٌ دون جبـــــال بصرى

قد جلب الـــدّهر عليهم ضُرّا قتلت يا سادة نفسي صبرا" [30]

فالبطل يصور ما آل إليه حاله من الجوع والعدم، وكيف أنه خرج يبحث عن الطعام لزوجته وأبنائه، وقد تكررت هذه الصورة في المقامة البصرية إذ يقول:" ثم جعجع بي الدهر عن ثمّه وَرَمّه. وابتلاني زغاليل حمر الحواصل".

كأنهم حيّات أرض محلـــة فلـــــو يعضون لذكّى ســمهم

إذا نزلنـــا أرسلوني كاسباً وإن رحلنـــا ركبوني كلّهم [31]

ويستمر في وصف ما وصل إليه فيقول:" ونشزت علينا البيض، وشمست منا الصفر. وأكلتنا السّودُ وحطّمتنا الحمر. وانتابنا أبو مالك. فما يلقانا أبو جابر إلاّ عن عقر" [32].

فإذا كان هذا حاله وحال أسرته، فقد فقدوا المتاع والدار، ولم يعد يملك الدرهم والدينار، وتكالبت عليهم الليالي والأيام، وما عادوا يذوقوا الخبز إلا كل حين مرة، فماذا عساه أن يفعل، هل يترك الزوجة والبنت

[29] المرجع السابق، (ص 281).
[30] المرجع نفسه ، (ص 11).
[31] المرجع نفسه، (ص 77).
[32] المرجع نفسه (ص 77).

للتسول، وتخرج من بيتها لسدّ جوعها؟ وأين هو من قول العرب: "تجوع الحرة ولا تأكل بثديها " ولذا كان عليه أن يطوّف في البلاد بحثاً عن الكرام الذين يحرصون على قضاء حوائج الأحرار. وكان له ذلك إذ وصل البصرة فيقول: "وهذه البصرة.. ولقد اخِترتم يا سادة، ودلتني عليكم السعادة"[33]. فكان ما يصبو إليه من سدّ جوع زوجته وأبنائه.

والملاحظ أنّ هذه الصورة لم تعدّ تتكرر عند كتّاب المقامات بعد الهمذاني، وأقصد هنا خروج الزوج للتسول والاستجداء بدلاً عن الزوجة. فتظهر الزوجة عند الحريري مثلاً هي من تتسول وتطلب ما يسدُّ جوعها وجوع أطفالها. فقد جاء في المقامة البغدادية: " لمحنا عجوزاً تقبل من البعد، وتحضر إحضار الجُرد، وقد استقلت صِبية أنحف من المغازل وأضعف من الجوازل، فما كذّبت إذ رأتنا، أن عَرَتنا، حتى إذا ما حضرتنا، قالت: حيّا الله المعارف، وإن لم يكن معارف؛ اعلموا يا مآل الآمل، وثمال الأرامل أني من سروات القبائل.... فلما أردى الدهر الأعضاء وفجع بالجوارح الأكباد وانقلب ظهراً لبطن، نبا الناظر، وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة،.... وقد ناجتني القرونة بأن توجد عندكم المعونة "[34].

ولم يخب ظن العجوز، فكان لها ما أرادت، بل طلب منها القوم أن تعبر عن حالها شعراً إن استطاعت كي تزيد عطاياهم إذا ما أبدعت بوصف الحال كما أبدعت بوصفه نثراً، فأنشات تقول:

" أما تروني أتغشّى طمرا ممتطياً في الضّرّ أمراً مُرّاً

" أشكو إلى الله اشتكاء المريض ريب الزّمـــان المعتـدي البغـيض

يـــا قوم إنّي من أنـــاس غَنُـو دهراً وجفن الـــدهر عنهم عضيض

فخَـارُهم ليس لـــــــه وصيتــهم بين الـــورى

[33] عبده، مقامات الهمذاني، (ص 79).
[34] الحريري، مقامات الحريري(ص 131 – 132).

دافـــع مستـفيض

مـــا بات جـارٌ لهم ساغبـاً ولا لـروعٍ قال: حـال الجريض[35]

فغيضت منهم صـروف الرّدى بحـــار جودٍ لـم نخـلها تغيـض

وأودعت منهم بطـــون الثَّرى أسد التحـامي وأساة المريض "[36]

والقصيدة طويلة فيها وصف دقيق لما أصابها وقومها من جوع وفاقة. وكان اللافت للنظر إصرار الراوي؛ الحارث بن همام لمعرفة حقيقة العجوز، **فيقرر أن يتبعها بعد أن منحها وأصدقاؤه العطايا، ليكشف بعد ذلك أنها زوجة أبي زيد السروجي، وهو من أرسلها للتكسب والكدية، وهذا خلاف ما كان يظهر عليه بطل مقامات الهمذاني أبو الفتح الإسكندراني، إذ كان يحرص على كرامة زوجته فلا يسمح لها بالخروج من أجل التسول.**

وقد ظهرت هذه الصورة أيضا جلية واضحة في مقامة أخرى عند الحريري وهي المقامة البرقعيدية، وإن كانت أكثر مقتاً من الناحية الاجتماعية عند الآخرين إذ يتشارك الزوج (البطل) والزوجة في رحلة التسول والاستجداء فيقول: " طلع شيخ في شملتين، محجوب المقلتين، وقد اعتضد شبه المخلاة، واستقاد لعجوز كالسّعلاة، فوقف وقفة متهافت، وحيتا تحيّة خافت، ولما فرغ من دعائه. أجال خمسه في وعائه، فأبرز منه رقاعاً وقد كتبن بألوان الأصباغ في أوان الفراغ، فناولهن عجوزه الحيزبون، وأمرها بأن تتوسم الزبون" [37].

وتتكرر هذه الصورة عند ابن الصيقل الجزري في المقامة الرهاويّة، إذ ينقل الراوي القاسم بن جريال لنا قصة عجوز لم تصبر على فقير زوجها فتشكوه لوالي الرها، فيقول:" فبينما أنا بمجلس والي الرُهى، وقد قرن بين قرَن النّباهة والنُّهى، إذ وقف بديوان ولايته، وإوان عدله ورعايته، شيخ قد قاربت قرونه المنون، وفارقت قمر إلف قدّه النّون، تشتمه شيخة ظاهرة الجرأة، بارزة الدّرأة."[38] حاول الشيخ بيان ما لحق به من زواجه من هذه العجوز، فقد تجرع معها ما يعافه أي حرّ، فكان لا بدَّ من الحضور لمجلس الوالي الذي استهجن نشوز الزوجة ونفورها، فحاولت الدفاع عن نفسها، وبيان أسباب هذا الصدود عن زوجها، فتقارعت وشيخها بالألفاظ التي عاف سماعها

[35] الجريض: الغصة، يقال في المثل: حال الجريض دون القريض، وأصله أن النعمان كان له يومان: يوم بؤس، ويوم نعمى، فمن لقيه في يوم بؤسه قتله، ومن لقيه يوم نعماه أغناه، فلقيه يوم بؤسه عبيد بن الأبراص الشاعر، وكان من خاصته، فقال له النعمان: وددت لو لقيتنا غير اليوم، فتمنَّ ما شئت غير نفسك، فقال: لا أعزّ عليّ من نفسي فقال: لا سبيل إلى ذلك. فأنشدني في شعرك. فقال عبيد: حال الجريض دون القريض، فذهب مثلاً، مقامات الحريري (ص 135 الحاشية).

[36] الحريري، مقامات الحريري(من ص 134 – 136).

[37] المرجع السابق، (ص 68).

[38] ابن الصيقل الجزري، المقامات الزينية، (ص 478).

من حضر مجلس الوالي، فما كان من الزوج إلاّ القسم بطلاقها لو ملك صداقها، فسارع الوالي إلى سؤاله: " كم صداقها عليك، لأحضره إليك، فقال: مائتا درهم لا يشوب كمالها نق، ولا يعيب ثوب اكمامها قصّ، فسلم المبلغ إليها، وقال: احلف الآن عليها، فقال: هي طالق."[39]

ولعل في هذا كفاية لبيان التحول الاجتماعي الكبير الذي طرأ على المجتمع في القرن الرابع الهجري، إذ رأينا كيف يحرص الرجل على عدم خروج زوجته لطلب الطعام و الملبس في حال الحاجة و العوز في مقامات الهمذاني؛ أي في بداية القرن الرابع الهجري، لتتحول الصورة إلى خروج المرأة مع أطفالها، أو مصاحبة الزوج في الاستجداء والتكدي كما ظهر في مقامات الحريري في القرن السادس، بينما أصبحت هذه مهنة عند الكثيرين، إذ ظهر في القرن السابع عند ابن الصقيل الجرزي كيف أصبح الرجل يستأجر المرأة والأطفال ليساعدوه في ما يسعى إليه أثناء عملية الكدية.

وإذا انتقلنا إلى الجانب الآخر نرى أن هناك صور سلبية للزوجة ظهرت في المقامات. كان من أشهرها صورة المرأة الجاحدة لمعروف زوجها، التي تبدأ بالتذمر والشكوى إذ ما تغيرت أحوال الزوج وخاصة المالية منها. وقد ظهرت هذه الصورة عند أغلب كتّاب المقامات. فنحن نجدها أولاً عند بديع الزمان الهمذاني، إذ ينقل على لسان بطل مقاماته أبي الفتح الإسكندري قوله:

" يا قوم قد أثقل ديني ظهري وطالبتني طـلتي بالمـهر
أصبحت من بعـدِ غنى وَوَفر ساكن قـفر وحليـف فـقر
يا قـوم هل بينـكم من حرّ يعينني على صروف الدهر

قال عيسى بن هشام: فَرَقَّ له والله قلبي، واغرورقت له عيني، فنلته ديناراً كان معي"[40].

ومن المقامات التي ظهر فيها شكوى الزوجة زوجها لدى القضاة ما وردت في المقامة الإسكندرانية من مقامات الحريري، إذ تقدمت زوجة بشكوى على زوجها مدعية أنه غررّ بها، فتذكر أنها من عائلة ذات جاه ومال، وقد أقسم والدها ألا يزوجها إلا لصاحب حرفة، فتقدم بطل المقامات أبو زيد السروجي لخطبتها ذاكراً أنه صاحب حرفة مشهورة، فوافق الأب على الزواج قبل السؤال. ولكن المفاجأة كانت كبيرة فتقول الزوجة: " إني امرأة من أكرم جرثومة، وأطهر أرومة.... وكان أبي إذا خطبني بناة المجد وأرباب الجد سكّتهم وبكّتهم، وعاف وُصلتهم وصِلتهم، وأحتج بأنه عاهد الله تعالى بحَلْفةِ، أن لا يصاهر غير ذي حِرفةٍ، فقيض القدر لنصبي ووصبي، أنْ حضر هذا الخُدعة نادي أبي، فأقسم بين رهطه إنه وفق شرطه، وادعى أنه طالما نظم دُرّةً إلى

[39] ابن الصيقل الجزري، المقامات الزينية، (ص 484).
[40] عبده، مقامات الهمذاني(ص 94).

درة فباعها ببدرة، فاغترّ أبي بزخرفة محاله وزوّجنيه قبل اختيار حاله "[41] و تستمر الزوجة بوصف ما لحق بها من فقر وعوز، فباعت كل ما تملك من أثاث بيتها وزوجها لا يحرك ساكن بحجة أن صناعته قد رميت بالكساد بسبب ما انتشر في الأرض من فساد، فلم تجد الاّ القاضي ليحكم بينها وبين الذي ما كان منه الاّ أن قال:

" اسمع حـــديثي فإنــه عجب يضحك من شرحـــــه وينتحب

أنا امرؤ ليس في خصائصـــه عيـــــب ولا فخـــــاره ريب

سروج داري التي ولد بهـــــا والأصل غسان حين انتســـــب

وشُغْـــــلي الدرس والتبحــر في العلم طلابي وحبذا الطّـــب

ورأس مالي سحر الكلام الـذي منه يصاغ القريض والخطـــب

وطـــــالما زفَت الصلات إلى ربعي فلم أرضَ كلَّ من يهـــب

فاليوم من يعلق الرجـــاء بـــه أكسدُ شيءٍ في سوقه الأدب "[42]

وأبدع السروجي في وصف حال الأدب والأدباء، وما أصابهم بعد تغيُّر الأحوال، وفساد ذوق كثير من العامة والخاصة بقصيدة طويلة جعلت القاضي ليتعاطف معه، ويفرض له في الصدقات حصة، بالإضافة إلى منحه بعض الدراهم وقد قال لهما:" تعلّلا بهذه العلالة، وتنديا بهذه البلالة واصبرا على كيد الزمان وكيده، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده "[43].

وتنمو شخصية الزوجة في المقامات كلما تقدم الزمن، وتختلف باختلاف الظروف الاجتماعية، وهذا أمر طبيعي إذ يتفق علماء الاجتماع على أن الشخصية تتكون وتنمو من خلال تفاعل الفرد مع الآخرين، وبدون هذا التفاعل لا يكون للفرد شخصية[44] وبهذا يكمن الجانب الاجتماعي الهام للشخصية بأنها تنمو في المواقف الاجتماعية، وتعبر عن نفسها خلال التفاعل مع الآخرين؛ فالمجتمع لا يمكن أن يقوم إلاّ على العلاقات المتبادلة بين أفراده، فلا يمكن عزل الفرد عن مجتمعه بعاداته وثقافته.

41() الحريري، مقامات الحريري (من ص 89 -91).
42() المرجع السابق،(ص 92).
43() المرجع نفسه، (ص 97).
44() حمد وآخرون، المجتمع والثقافة الشخصية(ص 11).

في ظل هذه التطورات التي أصابت المجتمع العباسي، تطورت العلاقة أيضاً بين الرجل وزوجته، ونتيجة للضغوط الاقتصادية والسياسية في المجتمع أصبحنا نرى مواقف كانت قبل قرن أو أكثر من حدوثها مستغربة ومستهجنة.

ومن المعلوم أن مقامات أبي القاسم الحريري مرتبة زمنياً حسب تأليفها وكتبتها، فإننا نجد في المقامة التبريزية (المقامة الأربعون) صورة للزوجة لم نعهدها بما سبقها من مقامات الهمذاني، أو مقامات الحريري نفسه، إذ تصور لنا المقامة مجلس قضاء بين امرأة وزوجها، يذكر كلّ منهما عيوب الآخر، إلاّ أن المرأة تتجرأ وتذكر سبب نشوزها وهو أن بعلها يخالف ما قرره الشرع في جماع الرجل مع زوجته وتتهمه قائلة: " إنّه ممن يدور خلف الدار، ويأخذ الجار بالجار "[45]. ليرد الزوج غاضباً بقوله: " إنها ومُرسل الرياح، لأكذب من سجاح، فقالت: بل هو طوق الحمامة، وجنح النعامة؛ لأكذب من أبي ثمامة حين مخرق باليمامة "[46] ليستمر الجدال والمراء بين الرجل وزوجته أمام جمهور عريض، ما اعتاد على سماع مساجلة بين زوج وزوجته بهذا القبح والسوء، يصرّ كلٌّ منهما على التشهير بالأخر حتى وصل الحال بالزوج ليعلن مخاطباً زوجته: " أنه لو حبتك شيرين بجمالها، وزبيدة بمالها وبلقيس بعرشها، وبوران بفرشها، والزّبّاء بملكها، ورابعة بنسكها، وخندف بفخرها، والخنساء بشعرها في صخرها، لأنفت أن تكوني قعيدة رَحلي، وطروقة فحلي " [47]. فما كان من الزوجة إلاّ ردت عليه بالطريقة التي اختارها فخاطبته: " وهبك الحسن في وعظه ولفظه، والشعبي في علمه وحفظه، والخليل في عروضه ونحوه، وجريراً في غزله وهجوه، وقسًّا في فصاحته وخطابته، وعبدالحميد في بلاغته وكتابته، وأبا عمرو في قراءاته وإعرابه، وابن قُريب في روايته عن أعرابه، أتظنني أرضاك إماماً لمحرابي، وحساماً لقرابي، لا والله، ولا بواباً لبابي "[48].

وبعد مدّ وجزر بينهما، ملَّ القاضي قصتهما، وأقسم بأن يجعلهما عبرة لكل زوجين اختصما، إنْ لم يوضحا له حقيقة أمرهما، فما كان من أبي زيد السروجي إلا الاعتراف بأن العلاقة بينه وبين زوجته على ما يرام إلا أن الجوع والفقر هو من دفعهما إلى هذه الخصومة في مجلس القاضي طمعاً في عطاياه، وقد كان لهما ذلك مع استهجان الجميع ممن حضر، لجرأة كل منهما في ذم الأخر ونعته بأبشع الصفات، وهذا ما لم تعتده العرب في مجالس القضاء بين الرجل وزوجته.

[45] الحريري، مقامات الحريري (ص 406).
[46] أمين، ضحى الإسلام (ص99).
[47] المرجع السابق(ص 408).
[48] الحريري، مقامات الحريري(ص 410).

وقد تكررت مثل هذه الصورة عند الحريري في المقامة الرملية التي جاء ترتيبها الخامس والأربعون بين المقامات، فزادت الأوصاف فحشاً، والأعذار قبحاً.

لم يبتعد ابن الصقيل الجزري في موضوعات مقاماته عن الهمذاني والحريري، فتكاد الموضوعات تتكرر بذاتها، وتحمل المقامات الأسماء التي عرفناها عند من سبقه.

وقد تكررت صورة المرأة التي لا تصبر على فقر زوجها، وتصرّ على تقديم الشكوى لدى حاكم المدينة على من قصّر في خدمتها وتوفير ما تحتاجه الزوجة من زوجها. فيذكر الراوي القاسم بن جريال في المقامة الصّادية الظفارية أنه ألف مجلساً حفّ بالازدحام " وإذا به صَبية وارفة البراعة أبيّة، يسُحُّ منها وابل الفصاحة، وتفرد بقلل اطّراحها بلابل الوقاحة، آخذه بشملة شيخ مكسوف المحاسن"[49].

وكما عهدنا بمثل هذه المقامات يقدم الزوج عذره فيقول: " إنني اتصلت بهذه الخديدة، عند إقبال الجريدة، متبجّحا بجزالة الإشباع، واتسّاع الباع، وحلول الارتفاع، وسيول الانتفاع... فحين انكدرت نجوم عزتي، وتكدرت بحور أعزتي وبانت الحبّة والمحبة، وظعنت الحبة والأحبة ومع هذي المزية وتعاضل هذه الرزية وجودة همتي والارتياد، وذبي عنها ذبَّ ذب الرياد، فقد آلت ألاّ تتحمل إفلاسي، ولا تحتلس أحلاسي "[50]. واستطرد الشيخ بوصف ما يلاقيه من زوجته وصدودها، لدرجة قيام الحاكم بلومها وتوجيه النصح لها بالعودة إلى زوجها، والابتعاد عن النشوز والتذمر وقبول الحال الذي وصل إليه زوجها، فهذه صفة الزوجة الصالحة المطيعة الوفية. ولكن هيهات هيهات، أن تتراجع من وصلت إلى هذه الدرجة من الوقاحة في محاججة زوجها أمام هذا الحشد العظيم فما كان ردّها إلاّ بقولها: " وما أصنعُ – أعزك الله - بمن أقفر وأفقر، وأقمر فأمقر، وضعف متينة، ونخر وتينه، وقصر باعه، واندثر رباعه، ورقد متاعه "[51]. ولا تنكر الزوجة عدم حاجتها لزوج أصبح هذا حاله، واستحالة الاستمرار معه إلاّ إذا تغيرت أحواله، فما كان من حاكم المدينة إلاّ أن أمر لهما بعطاء تستقيم عيشتهما به.

المرأة في الغالب عرضة للاستغلال، وتظهر في الواقع بصورة الضحية والاستغلال الاجتماعي بأوجهه المتعددة المتكرسة في العادات والتقاليد الاجتماعية، ويسجن المرأة بقيود قوية ومتشابكة، مما جعل المرأة تعاني من اضطهادات من الآباء، والأخوة، والأزواج[52]. ولعل ما نقلته المقامة الحجازية لابن الصقيل الجزري ما يؤكد هذا القول. إذ تصور المقامة قصة امرأة عجوز يشكوها زوجها الذي يرافقها في رحلة الحج

[49] ابن الصقيل الجزري، المقامات الزينية (ص 250).
[50] المرجع السابق ،(ص 254)
[51] المرجع نفسه، (ص 257).
[52] مناصرة، المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية الفلسطينية (ص 371).

لأمير الحج، إذ بدأ يصور نشوزها بعد أن تغيرت حاله فيقول: " وثقل ظهري بما ادنّت، فنفرت نفور السوانح وجنحت جنوح الدهر الجانح، فلما طال لسانها، وقصر إحسانها، عِفتُ عظم هذا الالطاط، وسففتُ من هذه اللطلط (العجوز الكبيرة) سحاقة اللطاط، وهانا قلق منها لديك، ومتعلق في صلاحها عليك لأنك أمير الحجيج "[53]. فما كان من الأمير كغيره ممن سمع قول الزوج أن يلقي باللؤم على الزوجة، فكيف تكفر العشير، وتنكر ما كان من ودّ ورحمة بينهما، وسرعان ما قال لها: " أيْهاً عجوز، إن صدر منك بعد اليوم مالا يجوز، أذيقك السياط، وأسمع الثقلين منك العياط، فمثله يحرم ملاله، ولا يُجْزَم وصاله، ويغتنم حياله، ولا تُصرم حِبالُه "[54]. ولعل هذا الحكم الصادر من الأمير ما هو إلاّ حكم صادر عن عقلية ذكورية سابقة ترى المرأة أو الزوجة بشكل خاص هي من تخطئ، وهي من تتحمل النتائج الصعبة باستمرار.

ومع كل هذا تصرُّ الزوجة على بيان سبب النفور والصدّ لأمير الحج. فتبين أن كلّ ما جاء به زوجها صحيح، ولا تنكر منه شيئاً، ولكن هذه الحقيقة التي بسطها الزوج بين يدي الأمير ناقصه، ولا توضح القصة كاملة فتبين الزوجة أن زوجها سافر عنها سفرة طويلة، انقطعت بها أخباره، وظنت به أنواع الظنون كان من أقلها الموت، حفظت غربته وعقدت رتمه[55]. ليظهر بعد سنوات عدة، وقد صحب جارية سوداء، تكلفه فوق وسعه، وتشنفه بشنوف شسعه "؛ أي تضربه بالنعل، وأصرّ صاحبنا على تقريب هذه الجارية وإبعاد زوجته التي طال انتظارها وشوقها إليه رغم كما تذكر الزوجة أنها كانت تلد الأبناء، والجارية تلد البنات وفي هذا إشارة إلى ظاهرة اجتماعية لا زالت مستمرة في بعض البيئات إلى الآن، والمتمثلة بتكريم وتقريب الزوجة التي تلد الذكور، وهجر وإبعاد الزوجة التي تلد الإناث. إلا مع زوج هذه المرأة، فلم يشفع لها ولادة الذكور، ولا الصبر على غياب الزوج وحفظ أسرته وكرامته إلى أن تغيرت الحال بين زوجها والجارية، فتقول: " وثار بينهما الضباب، وطار حلو محافظتهما والحباب، وغار ضحضاح حبّهما والحباب، وعار بين مصاحبتهما الحباب والأحباب، عطف إلي، وتعطف لانعطافه عليّ "[56]. فأقسمت ألا يحصل بينهما ما يحصل بين الرجل وزوجته، وأنذرت إن حدث هذا، أن تحج بيت الله الحرام، فأجبرها على معاشرته، ولهذا فهم اليوم ضمن الحجيج برّاً بنذرها، وختمت مقولتها بأبيات شعرية:

" خطوب الدهور كذا تمتحن كرام الأصـــــــول بهذي المحن

فعَرفي يضوع على سحقهـا وعِرفي جميــلّ وعُرفي حســـن

[53] ابن الصقيل الجزري، المقامات الزينية(ص 148).
[54] المرجع السابق(ص 149).
[55] انعقاد رتمه: هي أن يعقد الرجل إذا سافر غصنين، فإذا رجع فوجدهما كما عقدهما عرف أن زوجته لم تخنه والاّ فيظن أنها نكثت. ابن الصقيل الجزري، المقامات الزينية (ص 150 الحاشية).
[56] ابن الصقيل الجزري، المقامات الزينية ، (ص 151).

فهذا القليل بذاك الـــجزيـــل وهذا الـــــهزال بذاك الســـــمن

وهذا الكهام بذاك الحســـــام وهذا القنـوت بـذاك الـعلن "[57].

وبعد أن هدأت الزوجة، قال الأمير:" وأيمُ الله أن عجوزك لتعجز من تجاور إذ تحاور، وتخرس لها تماضر يوم تناظر، وتفضح لدى الأعيان، قسَّ البيان، وتترك ربَّ اللسان مسلوب اللسان " [58] وقد وَجَدَ الأمير نفسه مجبراً على إصلاح أمرهما، وجبر خاطرها.

ومثل هذه القصص تكثر في المقامات مع اختلاف بسيط في سبب تقديم الشكوى لدى القاضي أو الأمير، وإنْ كان في معظمها غايته الاستجداء، إلاّ أنه يعطي صورة واضحة للواقع في المجتمعات خلال تلك الفترة.

وتتميز مقامات ابن الجوزي (511هـ - 597 هـ)، عن غيرها من المقامات، إذ كان الوعظ هو الموضوع الغالب عليها، وقد نقل ابن الجوزي الكثير من القصص التي تبين صبر الزوجة على زوجها إذ ما تغيرت حاله، فلا تشكو ولا تتذمر بل تحتسب أمرها وتصبر على ما أصاب زوجها، ولعل في قصة رحمة زوجة سيدنا أيوب عليه السلام ما فيه دليل على ما ذهب إليه ابن الجوزي في تصوير صورة المرأة الصابرة المحتسبة فلقد ابتلى الله عز وجل سيدنا أيوب عليه السلام في ماله وولده وجسده فوجده عبداً صابراً لمدة ثمانية عشر عاماً، إذ انصرف عنه الجميع إلاّ زوجته. و بالرغم من كل المصائب التي حلت به عليه السلام لم يفتر عن حمد الله وشكره، وازداد صبره حتى أصبح يضرب به المثل، ولما اشتد عليه الحال، ولم يعد يقوى على شيء تضرع إلى ربه سبحانه و تعالى، فقد ورد في سورة الأنبياء "وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" **[الأنبياء:83]**، فكانت زوجته هي المعيل الوحيد له طيلة الفترة التي ابتلى فيها، وقد صور ابن الجوزي ذلك فقال:

" جمع بين كثرة الأعمال والمال، فقال إبليس إن سلطتني عليه ألقيته في الفتنة، فسلط على ماله وجسده، فلم يتغير رضاه عن سيده، وتقطع الجسم وداد، وما تقطع رسم الوداد، فدام عليه البلاء سنين، وقد لزم الصمت عن الشكوى، ولم يبق غير اللسان للذكر، والقلب للفكر، فلو أصغى إلى نطق حاله سمع من الدما يُناجى به الحق:

محا بعدكم تلك العيون بكاؤها وغال بكم تلك الأضالع غولها

[57] المرجع السابق، (ص 152).
[58] المرجع نفسه، (ص 153).

فمن ناظر لم يبق إلاّ دموعـــه ومن مهجة لم يبق إلاّ غليلـــه

دعوا لي قلباً بالغرائم أذيبـــــه عليكم وعيناً في الطلول أجيلها

ثم عوفي وردّ عليه كل ما ذهب، وجاءت امرأته وعليه اليمين في ضربها، وما كان يحسن في مقابلة صبرها أن يضربها، فأقبل لسان الوحي يتلو فتوى الرحمة، ويراعى ما سبق من مراعاة رحمة، "وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ" [ص:44].

ومما سبق نرى أن البعد الاجتماعي يهيئ المناخ العام لصورة المرأة في المجتمع، فكانت الظروف الاجتماعية والاقتصادية العامل الرئيسي في ظهور الزوجة بهذه الصور المتنقلة بين الإيجابية والسلبية.

2: صورة الأم في المقامات:

يقول حنا مينا:" إذا كان الأدب في أساسه استلهاماً للحياة الإنسانية، فإنه سيظل فقيراً في استلهامه هذه الحياة، ما دامت المرأة لا تلعب دور الإغناء فيه"[60]. فكيف إذا كانت هذه المرأة أمّاً؟ فهي أسطورة التفاني والعطاء، تمنح الحبَّ والحنان دون حدود أو مقابل، وتبقى الأم هي التي تشغل الدرجة الأسمى في الحياة الاجتماعية.

حفلت المقامات بصور كثيرة للأم، كان من أشهرها الصور التي ذكرها ابن الجوزي في مقاماته، إذ يذكر في المقامة الأولى ما تتحمله الأم منذ اليوم الأول للحمل إلى أن تلد، فيقول:" ثم انقسمت إلى عظم ولحم، فاستترت من يد الأذى بوقاية جلدٍ، فلما افتقرت أيها الأدمي إلى الغذاء في البطن، ساقه إليك من دم الأم ما يقوم به أمرك، فلما قوي جلد جلدك على مباشرة الهواء، وبصرك على ملاقاة الأضواء، أخرجك بما أزعجك إلى الدنيا، ثم صرف ما كنت تغتذي به إلى الثديين، من بعد أن أحاله من صفة الدموية إلى حال اللبنية، فلما عطشت عند الخروج إلى فلاة الدنيا، رأيت إداوتي الثديين ممتلئتين معلقتين لشربك "[61]. ولعل هذه العلاقة بين الأم وطفلها هي التي جعلت ابن الجوزي يتحدث عنها في المقامة الأولى من مقاماته.

[59] ابن الجوزي، مقامات ابن الجوزي، (ص 33).
[60] مينة، حوارات وأحاديث في الحياة والكتابة الروائية، (ص 249).
[61] نغش، مقامات ابن الجوزي(ص 8).

استمر ابن الجوزي في ذكر تضحيات الأم في المقامات تباعاً، فذكر ما عانته أم سيدنا إبراهيم عند ولادته، وقبل أن يشتد عوده ويبعث بالرسالة، إذ كانت تخشى عليه من الملك النمرود، فيقول:" لما خاض المخاض في خضم أم إبراهيم، خرجت من خيف الخوف إلى حيز التحير تهيم، فوضعته في نهر قد يبس، وغطته بالحلفا ليلتبس."[62]

وتكررت هذه الصورة من الخوف على الابن عند سيدتنا هاجر أم سيدنا إسماعيل عليه السلام، عندما تركها سيدنا إبراهيم بوادٍ غير ذي زرع، إلى أن منَّ الله عليها بماء زمزم، وقد ذكر ابن الجوزي ذلك فيقول:" فعطشا، فتلوّى إسماعيل على رمض رمضان الصوم، فسقت المرأة بأقدام الصَّفا، بين المروة والصّفا، فكلما أطلت الطلّة على طلل توكف طلّ روح ينقع الغلّة، فنزل جبريل ليزيل النازلة فهيا نزل النزية، فزمزم ماء زمزم."[63]

وتبقى معاناة أم سيدنا موسى لا تضاهيها معاناة أم على وليدها، ففرعون أخبر من كهنته أن قدوم النبي المنتظر الذي سينهي عرشه وملكه أصبح قاب قوسين أو أدنى. ونصح بذبح المواليد الذكور من بني إسرائيل، لتبدأ معاناة الأم في إخفاء وليدها، مرة في التنور، وأخرى بإلقائه في أليم، وقد صور ابن الجوزي هذه المعاناة بدقة متناهية، ومما جاء عنده:" كانت الكهنة قد أخبرت فرعون بوجود موسى، فأطلق في ذبح الأطفال، ودخل بيت أمّه الطلب، فألقته في التنور إلقاء الحطب، فلما خاطبها وما دعته للسعد تمَّ، ثم أودعته فيما بعد اليم، ثم أدركها وجد المحبّ أحبابه، فصدرت بصدر لا يعرف قدر ما به إلاّ من قد رمي به."[64] وقد سرد ما عانته الأم حتى منَّ الله عليها بعودة وليدها إليها.

لم يبتعد ابن الصيقل الجزري بعيداً عن ابن الجوزي في تصوير معاناة الأم، فتطرق في المقامة الفرضيّة مثلاً ما يراه ظلماً للأم في حال تقسيم التركة بين الورثة، فيقول:" فلما تضررت بتضيق المدارج، تضرر الأم مع الأخوين وأب الدارج"[65]، فمن المعلوم حكماً أن نصيب الأم من التركة في حال وفاة الزوج، وعدم وجود إخوة له هو ثلث التركة، أمّا في حال وجود الأخوة فإن نصيبها سدس التركة، وإن كان يرى ابن الصيقل الجزري في هذا ظلماً للأم، فإن الباحث هنا يسجل رفضه لذلك؛ لأن فيه اعتراضا على حكم شرعي قرره الشارع بشكل واضح، يقول تعالى: "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ

[62] المرجع السابق(ص 26).
[63] المرجع نفسه، (ص 28).
[64] نغش، مقامات ابن الجوزي (ص 34).
[65] ابن الصيقل الجزري، المقامات الزينية (ص 530).

وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيمًا

"[النساء:11].

لم تصور المقامات الأم إلاّ بصورة مؤلمة، تضطر لضيق الحال إلى اللجوء للتكسب والكدية كوسيلة وحيدة لتأمين ما تسد به جوع أطفالها في حال غياب الزوج لأي سبب كان. **ففي المقامة الحلبيّة تظهر الأم ومعها أطفالها تجوب الحدائق والمتنزهات باحثة عمّا يسدّ جوعهم، فيقول الراوي القاسم بن جريال:" فلما غامت** السماء، وعاقت في بحار إفصاحها الندماء، أقبل علينا شيخة ظاهرة الشمط، مستحسنة النمط، واهية الطمر، وافية الإمر، تَزُمُّ شيخاً استغنى بها عن عصاه، وما خالف أبا مُرّة قطّ ولا عصاه، وتلوهما أُطيفال كالنسّر الطائر تحت عِثِير وخدهما المتطاير"[66].

وبعد أن أتمّ البطل مهمته، وأقنع ندماء الراوي ابن جريال بمساعدتهم شكَّ – كعادة رواة المقامات – القاسم بن جريال بتصرف البطل فيقول: " نكرتُ شدة نكره الجامع، وأدركته كالبرق اللامع، فألفيته القسور القيسري، أبا نصر المصري "[67]، لتكون المفاجأة بأن أبا نصر المصري يعترف له بأنه بعيد كلّ البعد عن الزواج ثم يقول لابن جريال: "اعلم أنني استأجرتهم وجارتي، وقد انقضت مدة إجارتي واسترط (غاب) كلٌّ في طريقه "[68]. فهذه الأم تضطر إلى تحمل كلّ أنواع المذلة في سبيل توفير ما تقتاد به وأطفالها.

ومن المقامات التي ظهرت فيها صورة للأم متكسبة متسولة المقامة الأهوزية لابن الصيقل الجزري، مع ميزة خاصة لهذه المقامة عن غيرها من المقامات جميعها، إذ تفشل فيها الأم وأطفالها من نيل أي عطاء من المصلين في جامع الأهواز، فقد بدأت الأم قولها:"

أيها النـاظرون رقّـــــة حالـــي واحتيالي على الحطام الحقيـــر

واشتهاري لدى الرجـــال وهمّي بعد وهمي وكسر قلبي العقيـــر

واصفراري وطول ليـلي وويلي وارتضاعي ثديَّ صــدر النقيـر

[66] المرجع السابق (ص 324).
[67] المرجع نفسه، (ص 329).
[68] المرجع نفسه، (ص 330).

وأجـاجي وبؤس عيشي وطيشي بعد رهطي أولى المشيب الوقير

واعوجـاجي وذلّ نجلي ورجلي بعد شيخي أبي الفقير الوقير"[69]

وبعد أن فشلت الأم بإقناع الحاضرين مدّ يد المساعدة لها، انبرى للمهمة ابنها وقال:"

واعطفوا لي من بعد أمي لأمي إنَّ أمي كـضعف أمّ غريـر

واسمحوا لي بخاثر ومخيض وطعـام من اللطيف غزيـر

وارشحوا لي بحلّـةٍ وحـذاء مع رداء من الشـفوف حريـر

وارفـدوني برفـدكم ففؤادي ذو جرير إلى الوجـار جريـر

واجبروني بجبّـةٍ وبجـاد مع جـذاذ من النّضيـر نضير

وانصروني بصرّةٍ وصِـدار مع وصيف مع النّصير نصير"[70]

ولكن هيهات هيهات، فلم يفلح الطفل بمهمته، وما تمكن من إقناع المصلين بحلّ الوكاء، وإخراج من العطايا ولو القليل، وعندما لم يتحقق ذلك انتفض والد الأم المسكينة لعله يغير من هذا الوضع الغريب، فوقف قائلاً:" يا أعنّة العطايا، وأسنّة الهدايا، وأخدان الليان، وأخوان الخوان، وحساد الآكل، وآساد المآكل، وعباد الرياس "[71]. وأكثر من المدح والثناء، إلاّ أنه أخفق كما أخفقت ابنته وحفيده من قبله.

ومن خلال عرض النماذج السابقة لاحظنا بأنّ صورة الأم في المقامات لم تكن بأحسن حالاً من صورة الزوجة باستثناء ما ظهرت عليه صورة الأم في مقامات ابن الجوزي لطبيعتها الخاصة.

ثالثاً: صورة البنت في المقامات:

إنّ المجتمع بعاداته وتقاليده يفرض على المرأة ممارسة نمط من التحرك لا يخالف في كثير من الأحيان ما يحكمه من هذه القواعد، وهكذا جاءت صورة البنت في المقامات تنسجم إلى حدّ كبير مع الصورة التي جاءت عليها صورة الأم والزوجة من الاستغلال من قبل الرجل في تحقيق ما يسعى عليه في جميع المواقف التي تظهر فيها البنت برفقة الأب.

[69] ابن الصيقل الجزري، المقامات الزينية ،(ص 488).
[70] المرجع السابق، (ص 489).
[71] المرجع نفسه، (ص 490).

عانت قطاعات كبيرة في المجتمع العباسي من ظروف الفقر، وهذا بدوره أدّى إلى ظهور طبقة من المكدين والمتسولين، وقف على رأسهم طائفة الساسانيين، إذ يرى الكثيرون أن بطل مقامات الهمذاني أبا الفتح الإسكندري ينتمي إلى هذه الطائفة التي اشتهرت بكسل رجالها، ونشاط وحيوية نسائها، بالإضافة إلى استغلال الأطفال كوسيلة لجمع المال. [72]

تحفل مقامات بديع الزمان الهمذاني بمثل هذه الصور دون غيرها من المقامات، فهذا أبو الفتح الإسكندري يستغل أبناءه في كسب المال، يروي عيسى بن هشام فيقول:" وصرنا إلى الطريق ووردنا حمص بعد ليالٍ خمس، فلمّا انتهينا إلى فرضةٍ من سوقها رأينا رجلاً قد قام على رأس ابن وبنيّة، بجرابٍ وعصيّة وهو يقول:

رحم الله من حشـــا في جرابي مكارمه
رحم الله من رنـــــا لـسـعيــد وفـاطـمـة
إنّـــــه خـــــادم لكم وهي لا شك خادمة

قال عيسى بن هشام: فقلت إن هذا الرجل هو الإسكندري الذي سمعت به، وسألت عنه فإذا هو هو فدلفت إليه "[73]. ومثل هذه الطائفة لم تكن تطمع بالكثير، وإنما كما يقول الشارح إنما كانت تسعى لسد جوعها، واستشهد بذلك على ما طلبه الإسكندري من الراوي، إذ عرض عليه أن يطلب ما يشاء قائلاً:

" فاحسب حسابك والتمس كيما أنيل الملتمس

وقلت له: درهم في اثنين في ثلاثة في أربعة في خمسة حتى انتهينا إلى العشرين" [74] ولو تم حسبة ما اقترح عليه عيسى بن هشام لكان حاصل الضرب تعجز عنه ميزانية الدول، ولكنه الخذلان والحرمان ونحوسة البخت أنطقت الإسكندري بالجواب، إذ عندما سأله عن حاصل الضرب قال:" كم معك ؟ قال عشرون رغيفاً. فأمرت له بها. وقلت: لا نصر مع الخذلان، ولا حيلة مع الحرمان "[75].

ولم تكن صورة البنت، أو الأطفال بشكل عام التي رسمها الهمذاني في المقامة البصرية بأفضل من الصورة السابقة، فما كانوا إلاّ وسيلة من وسائل التكسب وجمع المال، يروي عيسى بن هشام على لسان البطل

[72] عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب(ص 89).
[73] عبده، مقامات الهمذاني(ص 43).
[74] عبده، مقامات الهمذاني ،(ص 44).
[75] المرجع السابق، (ص 45).

أبي الفتح الإسكندري قوله: " أنا رجل من أهل الإسكندرية من الثغور الأموية. قد وطأ لي الفضل كنفه ورحب بي عيش ونماني بيت، ثم جعجع بي الدهر عن ثمة ورمّه، وأتلاني زغاليل حمر الحواصل.

كأنهم حيّات أرض محلـــة فلو يعضون لـــــذكّى سمّهـــم

إذا نزلنا أنزلوني كاســـبـاً وإن رحلنا ركبوني كلُّهم " [76].

ولأن البطل قد أتقن هذه الصنعة فإنه يعلم أن تعاطف الناس مع البنات الصغار أكثر منه مع الذكور، فلذا فهو يقرر أن من يصحبه من أطفاله الإناث في رحلة تكسبه ليزيد العطاء فيقول: " ولقد أصبحن اليوم وسرحن الطرف في حيّ كميت، وبيت كلا بيت، وقلّبن الأكفَّ على ليت، ففضضنَ عُقد الضّلوع، وأفضْنَ ماء الدموع، وتداعينَ باسم الجوع... فهل من فتى يعشيهنَّ، أو يغشيهن، وهل من حرّ يغديهنَّ أو يُرَدّيهنَّ " [77].

ومثل هذا الوصف لا يستطيع أحدٌ أن يتجاهله، فأطفاله أصبحوا اليوم يطلقون أبصارهم إليه ظناً منهم أنّه الأقدر على سدّ حاجتهم وهو أشبه بالميت في العجز عن تلبية هذه الحاجة، كما أنهم يقلبون أبصارهم ببيت ليس كالبيوت، فالبيت الخالي من أسباب الحياة والقوت كأن ساكنه في غير بيت. وهذا ما دفع السامعين إلى إكرام السائل ومَنْ رافقة من أطفاله.

تختلف الصورة التي ظهرت عليها البنت في المقامة النهيديّة عما ظهرت عليه في المقامات السابقة عند بديع الزمان الهمذاني، إذ يروي عيسى بن هشام ما حلّ به وصحبه من الجوع، إلى أن وصلوا إلى فناء خيمة دخلوها ليلتمسوا فيها القرى، فهم من ثلاثٍ لم يذوقوا طعاماً، فاستقبلهم صاحب الخيمة، ورحب بهم، وبدأ يخيرهم بأنواع الطعام الذي يرغبون فيه، بدأ بتخييرهم بتقديم نهيدة لهم بجفنة محاطة جوانبها بعجوة خيبر، وتعالوا نستمع إلى الرجل كيف يصف الطعام لهم فيقول: " فما رأيكم يا فتيان في نهيدة فرق كهامة الأصلع في جفنةٍ روحاء مكلّلة بعجوة خيبر من أكتار جبّار، ربوض الواحدة منها تملأ الفم من جماعة خمصٍ عطش خمسٍ يغيب فيها الضرس كأن نواها ألسن الطير يجحفون فيه النهيدة مع أقعبٍ قد احتلبن من الجلاد الهرميّة الرّبليّة أتشتهونها يا فتيان ؟ فقلنا: أي والله نشتهيها. ففهقه الشيخ وقال: وعمّكم أيضاً يشتهيها" [78].

هذا نموذج لوصف الرجل المضيف لأنواع الطعام تكرر أكثر من مرة، فبعد النهيدة خيرهم بطعام الدقيق الأبيض، وبعده خيرهم بتقديم الأنثى من أولاد الماعز لهم، وغيرها من أنواع الأطعمة الشهية، مما زاد من جوع الضيوف وكان بعد كل وصف يقول: وعمّكم والله يشتهيها، حتى وثب عليه البعض بالسيف، لتظهر

[76] المرجع نفسه، (ص 77).
[77] المرجع نفسه، (ص79).
[78] عبده، مقامات الهمذاني(ص 202).

فجأة ابنته لتعوض بخل والدها وتقدم لهم أشهى أنواع الطعام، يقول الراوي: " فوثب بعضنا إليه بالسّيف وقال: ما يكفي ما بنا من الدَّقع حتى تسخر بنا. فاتتنا ابنته بطبق عليه جلفةٌ، وحثالةٌ ولويَّةٌ، وأكرمت مثوانا، فانصرفنا لها حامدين، وله ذامين " [79].

ومثل هذه الصورة لم نعتد عليها في المقامات التي كانت في معظم موضوعاتها تدور حول الكدية والاستجداء، والبعد كلّ البعد عن الكرم والإنفاق على الضيوف، وتبقى صورة استغلال البنت، أو الأطفال بشكل عام هي الغالبة على المقامات، فهذا أبو زيد السروجي يستغل وجوده في المسجد ليطرح على السامعين قضيته بقصيدة طويلة طمعاً في مساعدته، ومما جاء فيها:

" أيّهـا الأروع الـذي فـــــاق مــجداً وســؤددا
أنـــا من ساكني سرو ج ذوي الدّيـن والهـــــدى
كنت ذا ثروةٍ بهـــــا ومطـــــاعـــــاً مســـّودا
فقضى اللـــه أن يُـغـ يَّـر مـــا كـــــان عـــوَّدا
فاستباحوا حريــم من صـــــادفـــوه موحّـــــــدا
فتطوحت في البـــــلا دِ طـريـــــدا مشـــــــرَّدا
أجتدي النَّـــــاس بعد ما كنت من قبل مُجتـــــدى
وترى بي خصاصـــة أتمـنى لهـــــــا الـرَّدى
والبلاء الـــذي بـــه شـــــــــمـل أنسي تبـدَّدا
إســـتبـــاء ابنتي التي أســـروها لتـفتـــــــدى
وأعني على فكـــــــا ك ابنتي من يد العدى " [80].

[79] المرجع السابق (ص 206).
[80] الحريري، مقامات الحريري (ص 512).

فما كان من الحضور إلا ساهموا جميعا في إكرامه، وكيف لا وهو من الموحدين الذين استباحوا الروم حريمهم، وفك ابنته من أسرهم واجب شرعي وفرض عين على الجميع. وما خرجت الصور الأخرى في المقامات عن مثل هذه الصور.

الخاتمة:

لقد حاول هذا البحث الكشف عن صورة المرأة في المقامات المشرقية خلال الفترة من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجريين. وقد برزت المرأة في المقامات خلال هذه الفترة بصور مختلفة منها: الزوجة، والأم، والبنت، والجارية، والخاطبة، والنادبة وغيرها. واقتصر البحث على صورة المرأة ذات العلاقة ببطل المقامات وهي: الزوجة والأم والبنت.

وبعد أن تم استعراض مفهوم المقامة لغة واصطلاحاً، ودور ابن دريد وبديع الزمان الهمذاني في نشأة المقامات، انتقل البحث إلى عرض موجز عن حياة أشهر المقاميين خلال الفترة المذكورة ومن أبرزهم: بديع الزمان الهمذاني، وأبو القاسم الحريري، وابن الجوزي، وابن الصيقل الجزري.

ظهرت المرأة زوجة في مقامات هذه الفترة بصورة لم تكن معهودة في الأدب شعره ونثره، إذ كانت صورة سلبية، تحرص على التسول والاستجداء، وقد تلجأ إلى الخديعة لتحقيق ذلك. بالإضافة إلى ظهورها بصورة المرأة الجاحدة لزوجها، وتنكرها له إذا ما تغيرت أحواله المالية، وقد يصل الأمر إلى مقاضته لعدم قدرته على الإنفاق، ولم تتغير هذه الصورة في مقامات هذه الفترة إلا في مقامات ابن الجوزي، الذي أظهرها صابرة محتسبة، تسعى إلى خدمة زوجها وأسرتها والمحافظة على هذا النسيج العائلي الذي كرمه المولى عز وجل.

أما صورة الأم في المقامات فقد ظهرت بصورة المرأة التي تتحمل المشقة والألم والمعاناة في سبيل أطفالها وأسرتها، وهذا ما ظهرت عليه في مقامات ابن الجوزي، ومقامات ابن الصيقل الجزري. وهو خلاف ما ظهرت عليه صورتها في مقامات بديع الزمان الهمذاني والحريري، إذ لم تختلف عن صورة الزوجة، أو الصورة التي ظهرت عليها البنت في هذه المقامات، فما ظهرت إلا متسولة متكسبة، شديدة الفقر لا تجدّ ما يسدّ به جوعها.

وختاماً، تبقى صورة المرأة في المقامات مختلفة تماماً عن صورتها كمعشوقة مدللة عند الشعراء، وتبقى بحاجة إلى مزيد من الدراسة للوقوف على كافة التفاصيل، بالإضافة إلى مقارنة صورتها مع المقامات المغربية والأندلسية، والمقامات الحديثة.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أمين، أحمد. (د.ت). *ضحى الإسلام*. ط7. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. (1983م). *يتيمة الدهر*. تحقيق: مفيد قمحية. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الجوزي، أبي الفرج عبدا لرحمن بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي. (2004م). *صيد الخاطر*. ط1. دمشق: دار القلم.

ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي. (1980م). *مقامات ابن الجوزي*. تحقيق : الدكتور محمد نغش. القاهرة: دار فوزي للطباعة.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي، الدارمي، البستي. (1988م). *صحيح ابن حبان*. ط1.0 ترتيب: ابن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة

الحريري، أبو القاسم بن علي بن عثمان الحريري البصري. (1994م). *مقامات الحريري*، شرحها وقدم لها صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الحصري، إبراهيم علي القيرواني. (1953). زهر الآداب وثمر الألباب. ط3. تحقيق: زكي مبارك. مصر: مطبعة السعادة.

حمد، علي محمد وآخرون. (1983م). *المجتمع والثقافة الشخصية، مدخل إلى علم الاجتماع*. (د. ط). (د. م). دار المعرفة الجامعية.

حمودة، هادي حسن. (1985م). *المقامات من ابن فارس إلى بديع الزمان*. ط1. بيروت: دار الأفاق الجديدة.

الحموي، ياقوت بن عبد الله. (1990م). *معجم الأدباء*. ط1. تحقيق: عمر فاروق. بيروت: مؤسسة المعارف.

خفاجي، عبد المنعم. (1954م). *الحياة الأدبية في العصور العباسية*. (د. ط). القاهرة: دار العهد الجديد للطباعة والنشر.

وابن خلكان، أحمد بن محمد. (د.ت)، *وفيات الأعيان وأنباء هذا الزمان*. (د. ط). تحقيق: إحسان عباس، بيروت: لبنان، دار الثقافة.

ابن رجب الحنبلي. (2005م). *ذيل طبقات الحنابلة*. ط1. تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض: مكتبة العبيكان.

السيوطي، جلال الدين. (1965م). *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*. ط1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د. م). مطبعة عيسى الحلبي وشركاه.

الشريشي، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى. (1998م). *شرح مقامات الحريري*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ضيف، شوقي. (د.ت)، *المقامة*. ط7. القاهرة: دار المعارف.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. (2000م). ط1. *الوافي بالوفيات*، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث.

ابن الصيقل الجزري، أبو الندى معد بن نصر بن رجب البغدادي. (1980م). ط1. *المقامات الزينية*. تحقيق: الدكتور عباس مصطفى الصالحي. (د. م). دار المسيرة.

الطرابلسي، إبراهيم الأحدب. (د.ت). *كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان*. (د. م). بيروت: دار التراث.

عبده، محمد. (2002م). *مقامات الهمذاني*. ط10. بيروت: دار المشرق.

عوض، يوسف نور. (1986م). *فن المقامات بين المشرق والمغرب*. ط2. مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (2000م). *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*. ط1، تحقيق: محمد المصري، دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (1423هـ). *الشعر والشعراء*. (د. ط) . القاهرة: دار الحديث.

القلقشندي، أحمد بن علي. (1987م). *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*.. ط1. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. (د. م). دار الكتب العلمية.

كحالة، عمر رضا. (1993م)، *معجم المؤلفين*. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

مبارك، زكي. (1376هـ). *النثر الفني في القرن الرابع الهجري*. ط2. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.

معروف، ناجي. (1959م). *تاريخ علماء المستنصرية*. ط1. بغداد: مطبعة العاني.

مناصرة، حسين. (2002م). *المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية الفلسطينية*. ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (1995). *لسان العرب*. ط1. بيروت: لبنان، دار إحياء التراث ومؤسسة التاريخ العربي.

مينة، حنا. (1992م). *حوارات وأحاديث في الحياة والكتابة الروائية*. (د. م). بيروت: دار الفكر الجديد.

ياغي، عبد الرحمن. (1969م)، *رأي في المقامات*. ط1. بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر.